التدريس بالعامية وضعف المستوى اللغوي لدى طلاب المرحلة الجامعية

د. عبد العزيز فرج رمضان المريمي – كلية التربية – جامعة بني وليد

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.أما بعد:

فقد شرف الله تعالى –جلّ وعلا – العربية وعظمها، ورفع خطرها وكرمها، وأوحى بها إلى خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعلها لسان أمينه على وحيه ، وحفظها بحفظ كتابه حين قال عز اسمه:﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [1] وكل ما بدأت معارفها تتنكر،أو كادت معالمها تتستر، رد الله تعالى لها الكرة ، وفي هذه الأونة تزداد الشكوى من تفشي الضعف في تلك اللغة الجميلة، داخل دور التعليم وخارجها ، وعلى ألسنة كثير من المثقفين والمتخصصين في شتى العلوم ، وبعض المتخصصين في اللغة ذاتها.

ومن هنا يأتي هذا البحث،غيرة من صاحبه على تلك اللغة الشريفة،وإيماناً منه بقوتها ومقدرتها وصلاحيتها في كل وقت،وإسهاماً في إظهار الداء ووصف الدواء علّ الله عز وجل ينفع به.

ولهذا الضعف أسبابٌ متداخلة،ولكن المقام لا يتسع لذكرها ،لذا آثر الباحث تناول سبباً مهماً ألا وهو (العامية)،ولن أتناول كل جوانبها وآثارها في الفصحى وإنما حاولت قدر الجهد والطاقة أن أظهر جملة من آثارها في الفصحى من خلال الاستعمال المفرط لها والطاغي على لغة الضاد،وذلك على ألسنة المدرسين في قاعات الدرس وبخاصة في الجامعة،ولذا جعلت عنوان هذا البحث (التدريس بالعامية وضعف المستوى اللغوي لدى طلاب المرحلة الجامعية).

مظاهر الضعف اللغوي في الجامعة:

ترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً وثيقاً ، والعلاقة بينهما علاقة متبادلة من حيث التأثير والتأثر ، فكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به ، ولا نستطيع أن نتكلم بما لا نقدر أن نفكر فيه ، ولا نستطيع أن نفكر بعيداً عن قدرتنا اللغوية ؛ هذا هو المشهور عند كثير من علماء اللغة في القديم والحديث وهناك اتجاهات أخرى تذهب إلى أكثر من ذلك في الربط بين اللغة والفكر ؛ وعلى أية حال فإن

(1) سورة الحجر، الآية 9.

الإنسان المتصف بالقوة اللغوية هو الذي يستطيع التعبير عن فكره بطلاقة موافقاً للنظام اللغوي الفصيح ، والإنسان المتصف بالضعف اللغوي هو الذي لا يستطيع التعبير عن فكره بطلاقة ولا نسمع منه – إن تلفّظ – إلاّ عبارات ركيكة يستهجنها صاحب الذوق السليم ؛ وإذا نظرنا إلى حال كثير من طلابنا نجدهم لا يملكون أداة التعبير السليم الطلق عن أفكارهم وآرائهم ولا يجيدون النطق الصحيح ؛ فالمشاهد أنّ الطالب الضعيف لا يقرأ كما ينبغي له أن يقرأ ، ولا يكتب كما ينبغي له أن يكتب ، بل لا يسمع كما ينبغي له أن يسمع ، "فقد يستمع إلى محاضرة فلا يتمكن من استصغاء الموضوع الذي تدور عليه في تلخيص بارع دال،أو تجده منكباً على نسخ ما يسمع فحسب".[1]

وهذا يدل على فقره في الحصيلة اللغوية ، علاوة على عدم تمكنه من التعبير عن الفكرة البسيطة بأسلوب سليم.

إنّ المتتبع للغة كثير من الطلاب في جامعاتنا،المصغي لقراءتهم ، الناظر إلى كتاباتهم وعباراتهم في دفاتر إجاباتهم ومعروضاتهم وغيرها، ليقف على شيوع كثير من الأخطاء اللغوية لديهم على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والإملائية ، وهو ما يؤكد ضعف الملكة اللغوية لديهم:

فعلى المستوى الصوتي : نراهم لا يُخْرِجُون بعض الأصوات من مخارجها ، وعلى المستوى الصرفي : نراهم يخطئون في الأبنية الصرفية على مستوى الضبط أو الصياغة ، حيث يعدلون بها عن وجهها الصحيح ، وعلى المستوى النحوي:لا نكاد نجد أثراً للإعراب في كلمات اللغة ، وعلى المستوى الدلالي : نجد كثيراً من الألفاظ لا تستخدم في غير المشهور من معانيها ، وعلى مستوى الرسم : نجد الضعف أكبر، إذ المعروف أن أحكام الرسم مبني معظمها على معرفة بالنظم الصوتية والصرفية والنحوية ، هذا قليل من كثير، ولا يتسع المقام لسرد مزيد منها ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. [2]

فما الأسباب التي أوصلت طلابنا إلى هذا الضعف اللغوي؟

أهم أسباب الضعف اللغوي (اللهجة العامية):

للضعف اللغوي في المحيط الجامعي أسباب مختلفة،مباشرة وغير مباشرة :فقد يعود بعضها إلى نظام تعليم اللغة العربية وغيرها في الجامعة أو في ما قبلها مثل (الأهداف،والمقررات،وطرائق التدريس،والكتب،والمعلمين،والأنشطة....إلخ).

(1)مقدمة في علم تعليم اللغة العربية33.

(2)انظر مزيداً من الأخطاء : فقه اللغة وخصائص العربية339/326, واللغة العربية وأبناؤها122.

وقد يعود بعضها إلى ما يؤثر في الفرد مثل:(الأسرة والمجتمع ، ووسائل الإعلام بأنواعها، والخطباء، والمحاضرين....إلخ).

ولن أتناول كل هذه الأسباب لأنّ المقام لا يتسع لها لذا آثرث أن أتناول (العامية) بصفة كونها سبباً قوياً في ضعف الملكة اللغوية حيث يعمل على ترسيخها في أذهان المتعلمين على حساب الفصحى نفر غير قليل في محيط التعليم من المعلمين وغيرهم ، وفي خارجها من الأسرة والمجتمع ووسائل الإعلام إلى غير ذلك.

وليس بغريب أن يُرجع أحد العلماء الضعف اللغوي إلى قضيتنا هذه إذ يقول :" يرجع أكثر الخطأ في اللغة في العصر الحديث إلى ضعف الملكة اللغوية الموروث عن عصر الانحطاط الماضي الذي سادت فيه العجمة وغلبت العامية ، فقد فشت الأمية في ذلك العصر حتى كان الذي يحسنون مطلق القراءة والكتابة قليلين، ومن كان يعرف الكتابة منهم كان يكتب العامية بالأحرف العربية، والنادر من يجيد الفصحى إجادة معرفة وملكة حتى من العلماء أنفسهم إلا فريقاً قليلاً ممن عنى باللغة عناية خاصة، وغلبت على هؤلاء نقل النصوص اللغوية من المعاجم ، دون تحكيم السليقة العربية والملكة اللغوية ومحاولة التجديد والتوليد وفقاً لقواعد اللغة ، وطرائق نحوها ، وخصائصها في الاشتقاق والتقريب والتخصيص والتصميم والمجاز، فكانت الحياة تسير في جانب واللغة عند هؤلاء منعزلة في جانب آخر فملئ هذا الفرع بالعامية".[1]

حيث تؤكد جل الدراسات أنّ استعمال العامية في التدريس من أهم أسباب الضعف اللغوي، [2] ويرجع هذا إلى أن العامية ضعيفة في مادّتها ، فقيرة في ألفاظها ، مفتقرة في اشتقاقاتها، وأنّ من دأبها التهاون في التعبير وهذا يؤدي إلى تهاون في التفكير، وهذا التهاون تنشأ عنه عادات لغوية رديئة ، ويبنى عليها الكسل العقلي.

ولا يرى كثير من المعلمين خطورة في استعمال العامية والتدريس بها، ولذا يعتمدون عليها سواء أكان ذلك في المرحلة الجامعية أم فيما قبلها ، فنراهم في كثير من البيئات العربية لا يستخدمون الفصحى في قاعات الدرس – جهلاً أو ازدراء – ولا يحاسبون تلاميذهم عليها، بل إن بعض من يقومون بتدريس الفصحى ينطبق عليهم هذا القول.

إنّ ما يتعلمه الطالب من مدرسي اللغة الجادين الملتزمين بالفصحى يهدمه مدرسو المواد الأخرى الذين يستخدمون العامية ويحلونها محل الفصحى دون أدنى غيرة عليها ، وإنّ هذا

(1) فقه اللغة وخصائص العربية 327.
(2) انظر :أسباب انصراف الطلاب عن أقسام اللغة العربية وكلياتها 222 , وطرق تعليم اللغة العربية 229 وما بعدها.

الاستخدام العامي في التدريس يؤدي إلى آثار مضرة بالتكوين اللغوي للطالب ومستواه الفكري ومن أهم تلك الآثار ما يلي:

1- القصور في فهم الطالب وإدراكه وتعبيره وما يترتب عليه من ضعف في المواد الدراسية ؛ فالطالب لا يتمكن من معلوماته في أي فرع من فروع الدراسة إلاّ بإتقان التعبير السليم ، إذ وضوح الأسلوب يتوقف عليه وضوح الفكرة ، والعامية قاصرة عن بلوغ هذه الغاية.

ومن ناحية أخرى فإنّ الفصحى بما تمتاز به من تنوع طرق التعبير وكثرة المترادفات ، ومرونة الاشتقاق والإعراب تمكن المتعلم من فهم المعلومات والتعبير عنها بوضوح ، إذ اللغة والفكر مظهران لعملية ذهنية واحدة كما يقول كثير من علماء التربية والنفس ومن هنا تأتي فائدة استخدام الفصحى في التدريس.

2-ازدراء الطالب للفصحى.

إنّ الطالب إذا لم يجد للفصحى وقعاً على ألسنة معلميه ، ولا أثراً ملموساً لما يدرسه من قواعدها فإنه يزدريها وتهون في نفسه ، وفي ذلك يقول أحد شيوخ العربية:"للغة المدرسين والمعلمين شأن عظيم في هذا الميدان ؛ لأنّ الطلاب الذين يتلقون العلوم في فروعها المختلفة عن أساتذتهم بلغة عامية يزدرون العربية وتهون في نفوسهم وترسخ لديهم العامية ، ولا تتأثر ألسنتهم بما يعلمون من قواعد العربية وما يحفظون أو يقرأون من نصوصها".[1]

وإنه من الطبيعي أن يترتب على هوان العربية في نفوس المتعلمين – وبخاصة المقبلون منهم على الدراسة الجامعية – بعدهم عنها ، وانصرافهم عن أقسامها وكلياتها.

3-جهل الطالب بمنزلة العربية:

إنّ استخدام المعلمين للعامية في التدريس يبعد المتعلم عن الفصحى ويجعله غافلاً عن منزلتها بين علوم الإسلام وعن أثرها العظيم في تقوية أواصر القربى بين المسلمين سواء أكانوا عربا أو غير عرب.

إن استخدام العامية علاوة على ما ذُكِرَ يؤكد ما يظنه كثير من المتعلمين أن الفصحى مقصورة على مجرد كونها مادة دراسية يؤدون الامتحان فيها بمستوى أو بأخر ، مع أنها أداة نطقهم وتفكيرهم ، ولسان قوميتهم الذي يصلهم بتاريخ أمتهم وتراث آبائهم وأجدادهم ، ويتجاوبون به فكريا مع أبناء وطنهم على امتداد اقطاره.

وفي ذلك يحذر الشيخ محمد الفدى من هذا الأثر السيئ الناجم عن ركون المعلمين إلى ممارسة العامية في أثناء العمل وفي الفصول وقاعات الدرس ومحادثتهم الطلاب: "لهذا الصنيع غير الحميد

(1) أسباب انصراف الطلاب عن أقسام اللغة العربية وكلياتها 222.

نتائج بعيدة المدى على سائر المتعلمين نحو اللغة العربية والأقسام المختصة بها، ومن بين هذه النتائج اقتناع الطلاب بأنهم يعلمون اللغة العربية ليكملوا بها طريقهم إلى العمل الذي يضمن لهم العيش فحسب، وليسوا يعلمونها في حياتهم الخاصة والعامة لما لها من منزلة بين علوم الإسلام ، ولما لها من منزلة ناشئة عن أنها رابطة وثقى بين العرب من ناحية وبين العرب والمسلمين من ناحية أخرى فاستخفوا بها....". (1)

إن الأمم لا تعتمد على العامية في التعليم ، وهذا الأمر يدفعنا إلى ازدرائها لا لقصورها وثراء الفصحى فحسب ، بل لما تمتاز به عربيتنا على سائر اللغات ، وهو ارتباطها بالقرآن الكريم دستور الإسلام والمسلمين.

وفي سبيل ترسيخ الفصحى وجعلها لغة التدريس في الجامعة وغيرها ، وعلاج الآثار المترتبة على استخدام العامية نقترح ما يلي :

أولاً : ينبغي أن يراعى المسئولون إعداد مدرسي الجامعة الموجودين فيها _على اختلاف تخصصاتهم_إعداداً لغوياً ، بحيث يكون في مقدورهم التعبير السليم عن الأفكار المختلفة ، وذلك بإجراء دورات تدريسية لهم تعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع ، وكذا الأمر بالنسبة للمعيدين والمحاضرين(المدرسين المساعدين) قبل انضمامهم إلى عضوية هيئات التدريس ، إذ ليس من العدل في شيء أن نترك مدرسي المستقبل يعيشون على ذلك القدر اليسير من الدراسات العربية التي تلقوها في الجامعة أو قبل أن يلتحقوا بها .

وفي هذا الصدد أقترح أن يدرس الدارسون في الدورات التي تقام لهم معلومات في اللغة العربية تتناول أصواتها على مستوى الإفراد والتركيب والأداء ، كما تتناول نظمها في التصريف والاشتقاق ،كما تتناول نظمها في الجملة وبنائها،كما تتناول أدبها الرفيع وبلاغتها الجميلة وأساليبها الرفيعة ،هذا إلى جانب تزويدهم من الثقافة الإسلامية وتعميق فهمهم بالشريعة.

كما أقترح أن يكون اجتياز هذه الدورات شرطاً أساسياً للدخول في عضوية هيئات التدريس بالجامعات في كافة الأقسام وفي جميع الكليات ، وهذا ما قرره مجمع اللغة العربية في دورته الثانية والثمانين المنعقدة في القاهرة حيث "يرى المؤتمر ضرورة الاهتمام بإقامة مراكز تربوية لتدريب معلمي اللغة العربية والعلوم المختلفة وتأهيلهم،وجعلهم أكثر قدرة على الأداء اللغوي السليم وضرورة إقامة اختبارات في اللغة تسبق تعيين هؤلاء المعلمين لاختيار الأكفأ والأكثر صلاحية ، والإفادة من تجربة الأردن في هذا المجال ، وهي تجربة تشترط اجتياز اختبار الكفاءة اللغوية قبل التعيين في

(1)أسباب انصراف الطلاب عن أقسام اللغة العربية وكلياتها 230,229.

التعليم والإعلام وغيرهما ،وترى أن المعلم في المدرسة معلم لجميع المواد باللغة العربية الصحيحة " [1].

ثانياً: ينبغي أن يستخدم المعلمون الفصحى في المحيط الجامعي في قاعات الدرس، والمحاضرات العامة والخاصة ، وتعاملهم فيما بينهم ،وأحاديثهم مع الطلاب ، ويشجعوهم على ذلك.

إنّ ممارسة الفصحى وتحري سلامة اللفظ ودقة الأسلوب ، والالتزام بذلك من جانب المعلمين ، تُعين على ترسيخها في أذهان الطلاب وتساعد على الفهم والتعبير الصحيحين ، وتحولها إلى مهارة من المهارات وعادة صحيحة من العادات ، وبذلك نكون قد هيأنا مناخا صحيحا جامعيا للطلاب ينقلهم من العامية ويدفعهم إلى ممارسة الفصحى في أحاديثهم وأنشطتهم داخل القاعات وخارجها ، وإلى إكسابهم طلاقة في الحديث وصحة في التعبير بحيث يستطيعون الإفصاح عن أفكارهم في وضوح ودقة وسلامة لغة ، وينبغي أن نهيئ المناخ نفسه للطلاب في مرحلة ما قبل الجامعة ، وفي ذلك يقول أحد شيوخ العربية:"يتعين على جميع المدرسين أن يلتزموا اللغة العربية داخل المدرسة في كل شؤونهم ولا سيما مدرسو اللغة العربية ، وينبغي أن تسن القوانين التي تحظر على المدرس استعمال لهجته العامية داخل المدرسة وبخاصة أثناء الدروس ، ولن يعجز الطلاب عن متابعة مدرسيهم والفهم عنهم كما يدعى بعض الناس ، بل إننا نرى عكس ذلك وهو أن الطلاب سيصبحون أكثر مقدرة على الفهم ، وسيكتسبون من مدرسيهم عادة طيبة هي أن تنطلق ألسنتهم بالكلام الفصيح المعرب ، وأن تجرى أقلامهم بالأساليب الحرة ،وستصبح اللغة العربية عزيزة في نفوسهم ، حبيبة إليهم ". [2] وهذا ما جاء في توصيات المؤتمرات اللغوية حيث دعا مؤتمرُ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة " وزاراتِ التربية والتعليم في الوطن العربي إلى الاهتمام التامِّ بعلمي اللغة العربية ، وحثِّهم على التحدثِ باللغة العربية الفصحى في قاعات الدرس ومنع التحدثِ بالعاميات". [3]

ثالثاً:ترسيخ مبدأ الانتماء لمهنة تعليم اللغة العربية بوصفها رسالة وأمانة،لا بوصفها وظيفة ومصدر رزق،ورحم الله أبا منصور الثعالبي حين قال:"من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ،ومن أحب الرسول العربي أحب العرب،ومن أحب العرب أحب العربية،التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب،ومن أحب العربية عني بها،وثابر عليها،وصرف همته إليها،ومن هداه الله للإسلام،وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه،اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم

(1) توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية القاهرة في دورته الثانية والثمانين.
(2) أسباب انصراف الطلاب عن أقسام اللغة العربية وكلياتها 235.
(3) توصيات مؤتمر اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة2012 .

خير الرسل ، والإسلام خير الملل،والعرب خير الأمم،والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة،إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد..." [1].

رابعاً: ينبغي لمعلم العربية أن يتنبه إلى الأهداف العامة والخاصة من تدريس اللغة في المرحلة الجامعية كي يصل إلى الغاية المنشودة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم
2. أسباب انصراف الطلاب عن أقسام اللغة العربية وكلياتها في الجامعات العربية،د.محمد عبدالرحمن الفدى ، مجلة كلية اللغة العربية بالرياض،العددان(13،14)1403هـ،1404هـ.
3. توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية القاهرة في دورته الثانية والثمانين.
4. توصيات مؤتمر اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة2012 .
5. طرق تعليم اللغة العربية،د.محمد عبدالقادر أحمد،الطبعة الأولى1979م.
6. فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك ،الطبعة الثالثة1968م.
7. فقه اللغة وسر العربية،لأبي منصور الثعالبي،تحقيق:مصطفى السقا وآخرين،طبعة الحلبي1972م.
8. اللغة العربية وأبناؤها،د.نهاد الموسى،ط:دار العلوم ،الرياض،1405هـ/1984م.

مقدمة في علم تعليم اللغة العربية،د.نهاد الموسى،ط:دار العلوم ،الرياض،1405هـ/1984م.

(1) فقه اللغة وسر العربية21.